التشكيلي هرير في صالة السيد بدمشق

اللغة التشكيلية عجين الاساطير الملونة

(١)

افتتح مساء الاثنين في الرابع والعشرين من الشهر الجاري ، بصالة السيد في دمشق ، معرض الفنان اللبناني هرير ، برعاية وزيرة الثقافة السورية ، وحضور عدد كبير من المثقفين والفنانين . وشخصيات اجتماعية عربية واجنبية . وفي مقدمهم وزير الدفاع السوري العماد طلاس ، حيث تحول المعرض الذي يضم اكثر من خمس وثلاثين لوحة ، الى تظاهرة فنية حقيقية ، بسبب القيمة التشكيلية لأعمال الفنان ، وتاريخه الطويل في ترسيخ لوحته الأصيلة من خلال الانتاج الغزير ، والمعارض العديدة في لبنان ، والعالم العربي وفي عواصم العالم ، ومن خلال الأعمال الكثيرة ، والجداريات الموزعة في اكثر من مكان في العالم . اكسبت الفنان شهرة فنية ، وقدرة على التواصل مع متذوقي التشكيل ، على تنوعهم ، وتعدد مستوياتهم .

ان الفنان هرير ، الذي يعرض اعمالا بحجوم كبيرة متوسطة وصغيرة ، يستطيع من خلال نصه التشكيلي ، اختزان مكونات حميمية في شخصيته الروحية ، واختزال المفردات التشكيلية الى اقل ما يستطيعه ، عن طريق تدوينها واعادة تدوينها مرارا ، وعن طريق توثيقها المعرفي والثقافي . والتاريخي والديني . ومن خلال استنباطها من الأعماق ،والتنقيب عنها في جوانيات الروح التي يتداخل فيها الزمني في اللازمني ، والمرئي في اللامرئي ، وتتجلى في الحضور المشوب بظلال غسقية حمراء وزرقاء في تدرجاتها . من خلال زخرفة عفوية . تصل الى حدود الهذيان والعصبية في احيان كثيرة . كما تهدأ وتتهادى في فضاء اللوحات .وعبر الاشكال المبرمة التي تشتعل في الحركة ، لتبدو حركة الفرشاة ، وكأنها مغتسلة باللهب ، في أعراف الجياد . وفي ثياب النساء الموسقة التي تتموج عليها وحول لونية مهيبة ، كأنها قادمة ، من رحم الاسطورة والدين ، والتاريخ الخصيب الذي يختزن طاقات عظيمة ، على التوالد ، وتقديم القيمة دائما من خلال الثراء الفني ، او الظهور اللوني الشهي المعنوي ، القادر على حوارك كلما تطلعت وحدقت اكثر واعمق في جوانيات اللوحات التي تنعقد على نفسها ، وتدور على مراكزها ، وتترابط في هوامشها ، وتشع بالألوان المضيئة، باردة وحارة .ودفيئةمن محارقها ، في مغامرة فنية حداثية . متشحة بالشفافية واللطافة . كما انهاتضج بالكثافة والتجمهر على فضاء فني ساحر كريستالي جذاب .

هكذا تكون لوحة الفنان هرير ، حاضرة بجلالها وجمالها ومهابتها ، طاغية بتجلياتها وظهوراتها ، بمواصفاتها المحلية الناشبة عاليا الى العالمية ، حيث ينابيعها في غنى وثراء الفن البيزنطي ، مع مبالغات زخرفية احيانا ،كما تقيم تناصاً حصيفا مع الأيقونة الشرقية،المرصعة بالذهب الذي يذهب بها الى عوالم كوكبية ، اكثر مما يبقيها في ارضيتها الواقعية ، او في مثولها التاريخي ، لأن ضوء الذهب مسحور وساحر ، هو في الرمز والأسطورة معدن ساقط من الشمس . وليس من هذا العالم ، هكذا تقفز الأيقونة في لوحته الى مستويات معاصرة . بسبب التقنية اللونية المعقدة التي يضفيها عليها ، او ينتشلها من اعماقها الدسمة ، ليقرا فيها قلق الايمان ، وقلق الروح الانساني الحديث .

(٢)

مفردات الفنان التشكيلية بسيطة وواضحة . المرأة والحصان ، ويمكن لنا قراءة الفتنة المعقودة على الحصان ، وعلى خيول هرير بالذات ، فيما يشعرك انه يستحضرها بقوة وعمق من باطنية القرون الوسطى ، واجوائها الايمانية الملتبسة التي كانت تحتبل بالتغيرات ، وتلك الصدوع والانشقاقات التي تتفاوت وتتسلل لتعميق الهوة بين الشك والايمان .

بهذا المعنى لا يكون هرير شكلانيا في فنه ، لأن اشكاله بازدواجيتها الحية ، المرأة ـ الحصان ، متواشجة في ابعادها واعماقها وعلاقاتها سواء على صعيد التراث الفني او على صعيد الواقع ، والمعاناة الشخصية ، انه يرى اشكاله ، ويتلطى بها ، ليطلعنا على اسرارها المضمرة الواضحة ، حيث وجوه النساء وايديهن بؤر ضوئية داخل العصف الجمالي الزخرفي للألوان ، واطلالتهن اثيرية الى درجة ذوبان اجسادهن داخل الثياب ، وذوبان البستهن داخل اللوحة في حركة حيوية نابضة ، يضفي عليها الغنى اللوني ثراء ، وايقاعها يمكن لنا التنصت الى دبيبه واصدائه ، واقترابه وابتعاده ، ورؤية التموج العنيف ، ورغوة اللون وزبده ، وطميه ووحوله ، التي تحتدم داخل اللوحات . وتفيض على اطاراتها ، بحيث نشعر ان اللوحة كمساحة لا تكفي ، لتفريغ الجيشان الداخلي والفوران المحموم في عربدة الألوان ، وتصادماتها العنيفة او انسجامها وموسقتها على مستويات عديدة .

ان لوحة هرير قد تتعب العين بأضوائها ، بقدر ما تدربها على ممارسة الرؤية ، والمواجهة والحوار ، والاغتسال بمياه الألوان ، والاستماع الى غنائيتها ،وهديرها المكنون ، كما تجعل العين ، مبصرة بصيرة ، رائية تتقد وتتفرغر بالدموع ، من لفح الوهج اللوني وسرابياته والتماعاته الأخاذة ، حيث في هذه الغواية اللونية ، لا يمكن الارتكان للرؤية العابرة ، فالجاذبية على التحديق تغدو قوية ، فيما طاقة اللوحة على الحضور تتمرأى في جنون الذاكرة ، ورجعها البعيد وفي النسيان الذي يخفق ويضطرم للخلاص من التذكر، او لامتداحه والامتزاج فيه .

كثيرة هي الأسباب التي تدفع المشاهد لقراءة اللوحات بدءا من تشكيلها الى

انضفارها اللوني ، الى خطوطها وزخارفها ، الى مثاقفتها مع الماضي والحاضر ، بحيث تلجأ الى تكثيف الزمن ، واعتماد اللولبة المتحركة ، والهندسة المبرمة ، لبرمجة الايقاع الذاهب الى تداعياته ، فيما وشم الفنان يتحرك من البسيط الى المركب ، لتحقيق لوحة بنائية رافلة بغناها وغنجها ، وغوايتها وتصلصل فيها شهوات اللحم من خلال احتدام الألوان ، احتكامها والتغامها ، وسماكتها واثيريتها ، واضمارها للحنين ، ومكاشفة المشاعر الثملة الوسنانة ، في جمهراتها التي تتوالد ولا تنتهي ، كما تتداعى وتتماوج ، فلا يقر لها قرار .

ورغم الميزات الفنية الخاصة التي تؤشر لوحة الفنان الا ان القلق واحتمال التغيير واردان في كل أعماله ، حيث التجريب لا نهاية له ، ولا مستقر . وكأنه يخشى الوصول الى مواصفات جاهزة في لوحته ، فهو مشغول بالعبث واللهو ، والتمتع ، وجعل اللوحة ذات جيولوجيا اعماق ، بردمها وارساء طبقات لونية عديدة فوقها ، بحيث يحسبها الرائي خزفا ذاهباً الى السحر والأسطورة او قادما مسترجعا منهما .

(٣)

ان فن هرير ما زال ملتبسا بين الواقعي والديني ، بين التراث الشرقي والمعاصرة ، ومثاقفة التيارات الفنية العالمية ، وتتضارب الآراء في لوحاته بين تمايزاتها ، وعاديتها . بين تشكيلها وزخرفها ، وقصدية الفنان من خلالها الى درجة الوصول بتهمة التكرار والتقنية الى حد نزع القيمة الفنية عنها ، لكن واقع الامر غير ذلك تماما ، فليست القيمة الفنية في الموضوع ، وليست الزخرفة هدفا بحد ذاتها ، انما تنويعات جمالية تتداخل وتتخارج في فضاء اللوحات ، غير القابل للتجزئة الا على سبيل التمثل والاستدلال فيما لوحته كل متكامل متعض ، وشمولية مركبة الى درجة التعقيد ، فالشكل قضية والخط ، واللون والزخرفة ، والتأليف والتقابل والتضاد ، والانسجام والتنافر كل ذلك قضايا ، تنجمع في قضية ، اسمها لوحة صرير ، التي تطرح اسئلة ، وتكاشف قيما جمالية خلاقة ، بسبب هضم مؤثراتها ، وطمر مرجعياتها ، وجعلها جديدة كل الجدة ، فيما الفنان وطروحاته ، محمولان في لوحته ويستطيع الجميع عبر مشاهدة لوحة هرير ، التعرف عليها اينما كان ، لانها تعلق بالذاكرة ، من خلال خصوصيتها تماما ، التي تتدخل فيها التقنية والموضوعات .

أما مسألة الزخرفة ، فهي ملك الفنان ، وهو مختص بها ، لكنه يخرجها عن تقليديتها ، بجعلها زخرفة جائية من دخيلة نفسه ، حين يفكك عناصرها او حين يجمعها ويخلع حدودها ويخلخل تخطيطاتها ، او وحداتها المتكاملة ، او المتداخلة ، او المتعاشقة ، في حين لا تلبث ان تغادر وظيفتها ، الى وظائف اخرى تنشدها في الخارج والداخل بتأليف لا تحتسب كمياتها ، بل تقف وتنطلق عند نوعياتها الفارهة ، وتظل لوحته شرقية في استخدام البعدين فقط ، الشكل والأرضية ، ويجعل هرير الاطار الملون يطفو عليهما ، لكنه لا يثير مسألة الفراغ والامتداد ، ولا منظور البعد الرابع ، حيث الزمن ، او الثالث ، حيث المكان ، وكثيرا ما يلجأ الفنان الى تعليق اشكاله ، المرأة والحصان في الفراغ ، او يجتزئها عند الأطراف بالنسبة للمرأة والحصان . لكنه قوي في هذا التعليق ولا يخشى الانزلاق او خلخلة توازن اللوحة .

ان عنصري القوة ، والرقة ، يحضران في لوحته من خلال الحصان والمرأة ، وهما ليسا متناقضين ، فكلاهما يختزنان القوة ، الحصان في الخارج ، ونعومة المرأة ورقتها في قدرتها على الولادة ، والتحويل ، وكأنه في مدار واحد يجمع مناخات عديدة ، يعزفها الفنان بتنويع الألوان ، وتدرجاتها بين البارد والساخن ، كما في لجوئه ، الى استنفاد طاقة اللون الواحد ، كما في الأحمر والأزرق طغيانهما وطغيان الذهبي في لوحات اخرى .

هرير يشعرنا دائما بأنه يؤسس لوحته ، كل مرة يبدأ فيها ذلك ، وهو في غرابة الحداثة ، لديه حكائية في لوحته ، وفلكلور شعبي محور قليلا ، أو كثيرا . حيث يمتلك نصه التشكيلي طاقة الحوار والتواصل ، لأنه يستثمر الكثير من العناصر اللونية ، والتشكيلية المألوفة ، لكنه يسوقها الى غرابتها من خلال التموقع والتراكب . ومن خلال النسيج الذي كأنما يخيطه بالريشة والأصابع وأدوات اخرى ، فيما الوانه من الداخل ، وكذلك الأضواء والظلال والأشكال ، لذلك يبدو حضوره الفني آسراً ، حتى لو كان هناك مآخذ ، الا انها هينة امام ابداعه الفني الجمالي .

زهير غانم

□ نساء □

□ الحصان □